استاذ سليم... ترى لو عشت، لو أغرقك الفقر كما أغرقني... أكنت تفعل ما أفعل الآن؟ أكنت تقبل أن تحمل سنيك كلها على كتفيك وتهرب عبر الصحراء إلى الكويت كي تجد لقمة خبز؟» (ص ٤٣).

إن حضور البطل الغائب في الذاكرة، هو استحضار للحظة مشرقة من لحظات الماضي، لا تقف كمجرد نقيض للحاضر، ولا تتوقف عند ادانته، وانما تتجاوز ذلك إلى تقديم بديل له... بديل لا يأتي من العدم، وإنما من جذور تجد امتداداتها في تاريخ ووعي وذاكرة الشعب.

وفي زمن روائي آخر، يطلع بطل آخر، لكنه يظل ايضاً غائباً عن الواقع وحاضراً في الذاكرة. ففي «ما تبقى لكم»، البطل الغائب هو «سالم» الذي يطل علينا من ذاكرة «حامد» الهارب في الصحراء، الفاقد البطولة، والباحث عن الام الغائبة.

«سالم» هو نموذج للبطولة في زمن آخر، بطل الحرب الثانية عام ١٩٥٦ أثناء احتلال غزة للمرة الاولى في ذلك العام، وهو شهيد تلك المرحلة...

لقد قتلوا «سالم» لأنه كان بطلاً مقاوماً، أما «حامد» فلماذا يقتلونه! هكذا تقول «مريم» وهي تحاول طمأنة أخيها على حياته، فيظل هذا القول يقرصه بشدة «... وأغلب الظن أنها كانت تريد ان تطمئنني ولم تعرف ابداً انها حمّلتني ذلاً جديداً، لماذا يقتلونك انت؟ تافه آخر لا بأس من ان يكمل حياته تافهاً ويموت تافهاً، يموت رخيصاً ها هنا...» (ص ٢٠١ – ٢٠٢).

لكن البطل الغائب، يبدو عاملاً محركاً نحو الفعل، فادانة الذات على استنكافها هي الخطوة الاولى للحركة الجديدة.

إن هذا النموذج البطولي الغائب، الكامن في وعي وذاكرة الشخصية الروائية الحاضرة (حامد)، لا ينفي بطولة تلك الشخصية، وانما يفصح عن طاقاتها الكامنة التي تنتظر لحظة تفجيرها.

وإن ظلت البطولة كامنة حتى الموت في الرواية الاولى، فانتهى «ابو قيس» ورفاقه إلى الموت قبل أن نشهد تفجر طاقات البطولة في داخلهم. فهي في الرواية الثانية تشهد البدايات الاولى لتفجرها في داخل الشخصيات الروائية المتحركة، عندما يرتفع الخنجر في يدٍ ليواجه عدو، ويغمد خنجر آخر في جسد عدو آخر.

إنها بدايات الفعل، ترهص بها الرواية، وتستشرف تاريخاً آخر قادماً. تظل فيه البطولة حاضرة على أرض الواقع.

ومع «أم سعد»، وفي زمنها، تتجلى البطولة حاضرة بكثافة، لتتحقق الارهاصات التي أشارت إليها الرواية السابقة. وهنا، يستمد البطل المقاوم زخم طاقته من جسد الواقع